

قصة قصيرة

«ما أكثر محبتك لها! طبعاً، لأنها جاءت بعد أدعيتك.. وأيضاً بعد طفلي..»

وأحياناً كان مظفر تعتريه حالة غريبة بمجرد رؤية زوبا، يتغير لونه فجأة، تضيق أنفاسه، تصطك أسنانه، وأحياناً يصفع زوبا الصغيرة بكفه الضخمة لأنها تبكي بكاءً خفيفاً! ثم لا يستطيع تحمل صرخات زوبا المتعالية، فيحتضنها، ويقبلها بشغف! ويخاطبها يحاول أن ينميها قائلاً: «طفلي الحبيبة! هل خفت من أبيك؟! من يخاف من والده ياروحي؟! أنا نادم!! لن أفعل هذا مرة أخرى، هيا اسكتي يا طفلي!!»

في الأشهر الأربعة الأولى عاش مظفر عدة حالات عصبية، لكن حالته العصبية هذا اليوم كانت أشدها!

نورينا كانت تضم زوبا إلى حضنها، وتنتظر إلى وضع زوجها باهتمام بالغ. ومظفر كان يقف في الطرف الآخر من السرير يديم النظر إلى يديه دون أن يفهم ماذا حدث!!

كان مظفر عاجزاً عن تجاوز تلك الحالة العصبية. ولأنه لا يمكنه أن يصبر على بكاء طفله المستمر، وجدت نورينا نفسها تهتدي إلى الحل. فتكومت فوق فراش قريب، وبدأت تبكي بصوت مرتفع، وعندما رأى مظفر بكاء زوجته اقترب منها بهدوء، وقال:

«سامحيني يا نورينا! ثقي أنني لا أدرك ما أفعله تماماً!! لكن أنت أيضاً لم تسألي يوماً عن سبب ما يحدث.. هيا اسألي هذا اليوم.. لماذا أتصرف هكذا؟!»

قطعت نورينا بكاءها، ونظرت إلى زوجها بارتياح، فتابع مظفر كلامه قائلاً مرة أخرى:

«هيا اسألي.. لماذا وصلت إلى هذا الوضع.. لماذا أتصرف نحو زوبا بهذا الشكل.. لماذا كنت قبل قليل أباً شقيقاً، ثم

كان مظفر مايزال ممسكاً برقبة زوبا الصغيرة. قامت نورينا من فراشها فرعة. ابتعد مظفر عن السرير حالاً، مازالت أصابعه معقوفة. نظرت نورينا القلقة بحدة إلى زوجها. ووثبت فاحتضنت ابنتها، أما زوبا التي خافت من الشجار واستيقظت فقد بدأت تبكي صارخة!

الآن تقف نورينا في جانب السرير محتضنة ابنتها. وفي الجانب الآخر يقف زوجها، ينظر إلى يديه بندم.. يديه اللتين كانتا قبل قليل ممسكتين بخناق زوبا التي في الشهر الرابع من عمرها!! كان للطفلة بقية عمر ستعيشها، وهي مازالت تبكي في حضن أمها، وبدأ الهدوء على مظفر

- قالت نورينا «بالتأكيد جننت مرة أخرى.. ما الذي يعتريك مرة بعد أخرى؟ عائلتك ليست كبيرة! اشكر الله الذي وهب لنا بنتاً بعد ابنين. ألم تكن تدعو وتتوسل إلى الله قائلاً: يا إلهي هب لنا بنتاً هذه المرة؟! أنت الذي سميتها قبل أن تولد!! لكن الآن.. الآن...!!»

كانت نورينا تبكي بأسى وتمسح شعر ابنتها بيدها، وهي تخاطب زوجها معاتبة لائمة!

كان مظفر بدأ يتصرف بغرابة من يوم مجيء زوبا إلى الدنيا.

أحياناً كان يحتضن ابنته بحنان لساعات، يضمها إلى صدره باستمرار، وكانت نورينا إذا رأت ذلك تفرح، وتقول:

الحمامة*



بعد قليل انقلب عدواً؟! هيا اسالي!!..

قالت نورينا:

«.. أنت لا تفعل كل هذا عن جهل.. ولادة بنت بالنسبة لك يعني الموت!! تفرح لولادة ابن، ولكنك لا تتحمل بنتاً واحدة فقط!! أنت قاتل! الذين يفكرون بالقتل، أيضاً قتلة!!»

تكلمت نورينا في البداية مع زوجها وهي تصرخ، مظفر كان قد هدأ مقابل انفصال نورينا، فسحب ابنته من حضن زوجته، وضمها إلى صدره، وبدأ هو الآخر يبكي مازجاً شهادته بشهقات ابنته البريئة!

سكنت نورينا مع بكاء مظفر، فاقتربت منه بهدوء، وضعت يدها على كتفه، وقالت:

«.. مظفر! مم تعاني أنت؟! أنت مريض حقاً؟»

جلس مظفر على الفراش وهو يضم ابنته إلى صدره، كان بكاء الطفلة قد انقطع، واستسلمت في حضن أبيها لنوم عميق، كانت شفاتها مائزلاًن مزمومتين في حالة بكاء، مرر مظفر سبابته على شفة الطفلة بكل حنان قبل أن يحول نظراته عن وجه ابنته، وخاطب نورينا قائلاً:

«حبيبتي نورينا! ألسنت أنا والد زوبا؟»

قالت نورينا: ما معنى هذا الكلام؟! يامظفر! هل أنت عقلك في رأسك؟

قال مظفر: نعم، عقلي في رأسي الآن! كيف يتصرف أب نحو ولده بهذا الشكل؟! وكما قلت صرت مجنوناً، ولم ينته جنوني تماماً حتى الآن!!

قالت نورينا: أعطني الطفلة! ونم قليلاً.. استرح!

قال مظفر: هل أنا موظف عائد من مكتبه

حتى أنام وأستريح؟! ولست عائداً من الحقل، لست متعباً.. فكري وجسمي الآن في غاية الهدوء، أشعر بأن تعبتي كله قد زال، تعالي.. أنت أيضاً اجلسي إلى جانبي.. أريد أن أقول شيئاً في غاية الأهمية!!

أخذت نورينا الطفلة من حضنه، ووضعت مسنداً على الفراش، وقالت:

اتكبي على هذا، وتحدث مرتاحاً.

لم يكثر مظفر بتاتاً بالمسند، فقط نظر إلى وجه زوجته من مجلسه، وقال لها:

– هل تريدين أن تسمعي؟!

وضعت نورينا الطفلة في سريرها وعادت بسرعة بالغة، وجلست عند رجلي زوجها، وقالت:

– لماذا لا أريد أن أسمع؟! هيا تحدث! ماذا ستقول؟! قال مظفر:

تعرفين أنني كنت أربي الحمام منذ طفولتي، وكل واحد عرفني بهذا، وكنت أهتم بالحمام أكثر من اهتمام أي شخص آخر، كنت مستعداً أن أقاتل من أجل طيوري!!

توقف مظفر لحظة، احمرت عيناها! بدأ جسمه يرتجف!

وكانت نورينا تنظر إلى زوجها بحيرة دون أن تعرف ماسيقوله، فتابع مظفر كلامه:

– بعد ذلك.. ألا تعرفين ماذا حصل يوماً؟! كنت أطلقت حمامي في الجو ليطير، وشفيق كان قد طير حمامه أيضاً!

كانت الحمامات تطير في الجو متقلبة، وكانت بينها حمامة سوداء لي، اختلطت مع حمام شفيق في ذلك اليوم، ولم تعد ثانية! طلبت من شفيق إعادة حمامتي،

ولكنه رفض! فتنازعت مع شفيق، وعيرني الجميع لأن حمامتي ذهبت برغبتها مع حمام شفيق!! فلا يحق لي المطالبة بها. فعدت إلى منزلي مقهوراً، ولم أنس هذا العدوان! وفي ظهيرة أحد الأيام أمسكت بأخت شفيق زوبا التي كانت في الخامسة من عمرها، وأخذتها قسراً إلى مكان خال.. فخنقتها هناك!! كان موسم السيول فجرفت المياه وحملتها بعيداً. وهكذا انتقمتم لحمامتي من طفلة بريئة!! وزوبا ابنتي أيضاً بريئة، أليس كذلك؟! فلو حاول أحد أن يخطفها، ويقتلها كما فعلت! هل سيتمكن غرور صاحب الحمام – الذي هو أنا – من منع ماسيق؟! تكلمي.. تكلمي يانورينا.. أنت.. أنت..»

كانت نورينا تسمع حديث مظفر مندهشة، قد فتحت فمها وجمدت عيناها تنظر إليه!!

فلما ارتفعت نبرة مظفر، التفتت نورينا إلى الخلف نحو ابنتها النائمة في السرير، وثبت من مكانها فجأة، واختلطت طفلتها مذعورة وهربت نحو الباب حاسرة لا تلوي على شيء.



■ هوامش:

* قصة قصيرة للأديبة زيتون بانو، باللغة البشتونية من ولاية سرحد في باكستان. نقلها إلى التركية الباي مسعود شيخ اختر، وترجمت إلى العربية عن مجلة الأدب الإسلامي التركية العدد ٢٦ ص ١٧.

للأديبة الباكستانية: زيتون بانو ترجمة شمس الدين درمش

قصيدة..

سفر أيوب

للشاعر:

بدر شاكر السياب (١)

لك الحمدُ مهما استطالَ البلاءُ
ومهما استتبدَّ الألم
لك الحمد إن الرزايا عطاء
وإن المصيبات بعضُ الكرم
ألم تعطيني أنتَ هذا الظلام
وأعطيتني أنتَ هذا السَّحَر
فهل تشكرُ الأرضَ قَطَرَ المطر
وتغضبُ إن لم يجدْها الغمام

شهور طوالٍ وهذي الجراحُ
تُمرِّقُ جَنَبي مثلَ المدى
ولا يهدأُ الداءُ عندَ الصَّباح
ولا يمسحُ الليلُ أوجاعه بالردي
ولكنَّ أيوبَ إنَّ صاحَّ صاح
لك الحمدُ إن الرزايا ندى
وإنَّ الجراح هدايا الحبيب
أضُمُّ إلى الصدر باقاتها
هداياك في خافقي لا تغيبُ
هداياك مقبولةً هاتِها

جميلٌ هو السُّهْدُ أرعى سَمَاك
بعيني حتى تغيبَ النجوم
ويلمسُ شَبَاكَ داري سَنَّاك
جميلٌ هو الليلُ أَصْدَاءُ بوم
وأبواقُ سَيَّارة من بعيد
وأهاتُ مرضى وأُمُّ تُعيد
أساطيرَ آبائِها للوليد
وغابات ليل السَّهاد الغيومُ
تُحجِّبُ وَجْهَ السَّمَاءِ
وتُجْلوه تحت القمَر
وإن صاحَّ أيوبُ كان البُداءُ
لك الحمدُ يا راميًا بالقُدْرُ
ويا كاتبًا بعدَ ذاك الشِّفاءِ

من ثمرات المطالع*



• بدر شاكر السياب

** اخترت هذه القصيدة نموذجاً آخر
لتصور القدر في الشعر العربي الحديث
لأن صاحبها يتميز بميزتين:

■ الأولى: أنه من رواد الحداثة في
شعرنا العربي المعاصر، فقد دعا إلى تجديد
الشعر العربي وتطعيمه بأدوات فنية لم
يعرفها من قبل، وفي مقدمتها تجاوز نظام
الأوزان الخليلية والاعتماد على وحدة
التفعيلة، وقد استطاع - مع نازك الملائكة
وعبد الوهاب البياتي وصالح عبدالصبور
وعدد من دعاة هذا الاتجاه أن يشيع دعوته
في الأقطار العربية كلها، وما زالت آثارها
تتفاعل حتى اليوم.

■ والثانية: أنه خاض في متاهات كثيرة
وتقلب بين الحزب الشيوعي والاتجاه القومي
العلماني، وتأثر بتصوراتها ونظم قصائد
كثيرة تدعو إليها، وكان في ذلك كله بعيداً عن
التصورات الإسلامية.. وفي سنواته الأخيرة

بقلم: د. عبد الباسط بدر

أصيب بمرض عضال كان الجسر الذي عبر
فوقه إلى الموت، وقد أحس بدبيب الفناء في
جسمه فراح يصرخ ويشكو. ومالبث أن قصد
الباب الذي لم يقف عنده من قبل.. باب الله
الذي لا يغلق، وجثا على أعتابه يبتث عنه
همومه ويحكي عن آلامه المبرحة، ويعلق آماله
عليه، على فضله وعطاءه، راجياً، ضارعاً،
متسامياً في شكواه، فتتراح عنه التصورات
المختلطة المضطربة، ويتألق في القصيدة
تصور ناصع، يشير إلى أن الفطرة السوية
يمكن أن تبرز في أي إنسان في لحظات
الحنن، وتنقله إلى الموقع الحقيقي الذي ينبغي
أن يقف فيه: موقف المخلوق من الخالق.

والقصيدة من جهة ثانية دعوة لكل أديب
شرد بعيداً عن دورب الهدى كي يؤوب إليها،
يحمل التصورات الفطرية السوية، وسيجد
الأبواب مفتوحة للتوبة والعودة، وسيجد أن
وقفته هذه هي الوقفة الصادقة، وكل ما
سواها باطل. وقصيدة السياب - كما هو
واضح - مناجاة لله عز وجل تقرن الشكوى
بالحمد، وصور الألم بالصبر والتجمل.. ولا
شك أن الحمد على البلوى درجة أعلى من
درجة الصبر عليها، فللصابر أجر الصابرين،
وللحامد في مثل هذا الموقف أجر الصابرين
وأجر الشاكرين.

ويرتبط الحمد على البلوى بما يمكن أن
نسميه «الرؤية الإيمانية» وهي رؤية شمولية
لا تنحصر في جزئيات الحدث، أو نتائجه
المباشرة، بل تنطلق مما قبله، وتمتد إلى ما
بعده وتتخسس النتائج البعيدة، وتبصر ما
فيها من إيجابيات تطغى على سلبيات النتائج
المباشرة، فترى الفوائد تفوق ما تحقق من
ألم، وبحساب الربح والخسارة يتأكد المؤمن
أن النتيجة في صالحه، وأن ما هو مصيبة في
ظاهره يجز وراءه خيراً كثيراً، فهذه الرؤية
تطبيق لقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

شيئاً وهو خير لكم﴾ (٢).

والمرض الذي وقع فيه الشاعر بلاء
استطال، وألم استتبد، ولكن الرؤية الإيمانية
تخبره أن «الرزايا عطاء» وأن «المصيبات
بعض النعم» لأن مصدر طرفي المعادلة واحد
هو المقدر. فالذي قدر الظلمة قدر النور أيضاً،

والذي أمسك الغمام أن يهتق قطره أعطى المطر المردار. فإله هو المانع المعطي، وموقف الشاعر من عطائه وإبتلائه موقف الحمد والشكر.

وإذا تعمقنا ظروف الشاعر، وعودته - بسبب هذا الابتلاء - إلى أبواب الله فهمنا مدلول الرؤية الإيمانية، وسبب اقتران البلاء بالحمد، فهي الفرصة التي شددت الشاعر إلى دروب الهداية وخلصته من المتاهات التي ضرب فيها سنين كثيرة. لذلك يلج في المقطع الثاني على ذكر آلامه ومصيبته، ويلج أيضاً على ذكر تجلده وحمده، ويستحضر اسم نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم، متأسياً بصبره وتضرعه، ويردد الحمد مكان صرخات الألم، ويؤكد أن الجراح التي تمرق جنبه هدايا من حبيب ملك عليه قلبه، وباقات زهر يشدها إلى صدره، لتكون صلة دائمة بينهما فيذكر، ويشكر مع كل خفقة ألم. ومن الحقائق الإسلامية أن مرض المؤمن كفارة لذنوبه، يرفع الله به درجاته ويسقط عنه بعض سيئاته (٣). ومن يتمثل هذا المعنى في محنته، فقد رزق شفاافية في روحه وطرفاً من إيمان عميق. ويصر الشاعر على أن يعيش القارئ معه بعض ما يعانیه، وتستمر الشكوى في المقطع الثالث، وتقلب إلي ضراعة تتخفى وراء الرؤية الإيمانية، ويسر ما يعانیه في ليالي المرض من سهاد وآلام مبرحة، ويحدثنا عن تأملاته في السماء، منذ أن تطلع النجوم إلى أن تنثر الشمس شعاعاتها على شباكه. ولا شك أن تأمل السماء وحركة النجوم فيها يفتح للنفس آفاقاً من الجمال والرهبة، وإذا ارتبطت بالتوجه إلى الله خالق الكون ومدبره تصبح تأملات إيمانية عميقة. وربما يكون إحساس الشاعر بالقرب من الله عز وجل في قرب من الموت والحساب هو الذي يقوده إلى التمعن في كون الله الذي يحيط به، وهو الذي يحول عذاب الأرق إلى تأملات وتسبيحات فيزيد من إحساسه بعظمة الله ورحمته.

وتتابع صور هذا المقطع في تذبذبات متوالية، ونرى إحساس الشاعر بالجمال - في بعض التأملات - غريباً غير مألوف، حيث

يسمع من بعيد صوت بوم يردده الصدى. واليوم يرتبط في مخيلة الناس بالخراب والموت؛ لأنه يالف الخرائب دائماً، ويمتزج صوته في أذن الشاعر بأصوات أبواق السيارات البعيدة، وأهات المرضى من حوله، يجمع بينها صفاء الليل وإحساس الشاعر المرهف، فتمتلئ الصورة بالمتنافرات، ثم تقفز قفزة غير منطقية، لتضم في طرفها مشهد أم تحكي، وتعيد حكاياتها لابنها الصغير الذي لا يفقه شيئاً، عسى أن ينتهي أرقه ويستسلم إلى الراحة والنوم العميق.

ويضطرب إحساس الشاعر بالليل، فتتلبد السماء أمامه بالغيوم، ويغيب وجهها خلف السحب الداكنة، وتضيق نفسه، وتمتلئ بهموم المرض وأوجاعه، وتشد عليه الظلمة ووقع الأصوات المتنافرة، ولكن الرؤية الإيمانية تشعر بأن وجه السماء الذي غاب خلف الغيوم قد تجلى للقمر وصفاً بعيداً عن الهموم والأحزان وأن القمر سيسفر ثانية ينشر الضياء. وهذه الحركة: الإظلام ثم الإضاءة، واحتجاب وجه السماء خلف ليل السهاد والغيوم، ثم انجلاء الغيوم وإسفار السماء بوجه مشرق توظف حسه وتوجهه نحو الأمل الذي يتعلق به، وتوحي إليه بأن المرض والآلام التي يعانيتها ستنتجلي، وسيبعبها شفاء يسعده، وهذا الإحساس هو الأمل الباقي لديه.

والشاعر مليء بالثقة في الله، يعبر عن هذه الثقة في تركيبات ثنائية تتوالى في القصيدة لترسم صورة كاملة للقدر والعدل الرحيم، تتألف هذه الثنائية من عنصرين متضادين: الليل والنهار - الظلمة والنور - الجذب والمطر. فتمة موالاة يتعاقب فيها شيء قائم وآخر مضيء.. سلبي وإيجابي.. هذه الموالاة تدخل إلى السياب أو يدخل هو فيها.. وعندما وقع في المرض وفق منطق التركيبة الثنائية المتكررة في الحياة لابد أن تنتهي محنته بالشفاء، فالكفتان متعادلتان والنتيجة إيجابية دائماً تجعل القدر عدلاً وخيراً ورحمة... وتعزز مفهوم الرؤية الإيمانية التي رأيناها في مطلع القصيدة.

وقد أكد الشاعر في البيت الأخير من

القصيدة تلك الرؤية فحمد الله الذي قضى عليه قدره الابتلاء، وتوقع - بلهجة تنم عن أمل قوي - أن يكتب الشفاء له.

●● وبعد:

فقد حملت القصيدة تصوراً نقياً واضحاً للقدر، أخرج رؤية إيمانية عميقة تضم القاتم والمضيء وتجعل المضيء نتيجة حتمية ينتهي بها القاتم، والفرج نهاية مؤكدة للشدة، وهذه نظرة تتجاوز جزئيات الحادثة ونتائجها القريبة إلى مساحة واسعة فيها السابق واللاحق. ولهذه النظرة معطيات كبيرة، فهي تجعل الألم الحاضر تطهيراً للنفس، وفرصة للصبر والشكر تقتضي الحمد والثناء، وتظهر القدر عدلاً ورحمة وحكمة، وتسلم للألوهية بالقدرة المطلقة، فالله خالق كل شيء، وهو المبني وهو القادر على أن يهب الشفاء.

وقد نجح الشاعر في أن يبت هذه التصورات عبر سبل شعوري ينبع من عالم الشاعر الداخلي: آلامه النفسية والجسدية، والخارجي: الظلمة والجذب والزحام وأبواق السيارات..

ونجح في الإيحاء بالأبعاد الكبيرة لمحنته عندما اختار اسم نبي الله أيوب عليه السلام ليكون رمزاً لمعاناته، فالرمز يحمل إيحاءات الصبر والتسليم والإنابة، ويستحضر إلى الذهن الصورة القرآنية لقصة هذا النبي، ويضيف إلى القصيدة عنصراً إسلامياً له قيمة عقدية وفنية في آن واحد.

وهكذا يكسب الشعر عندما يحمل ببراعة التصورات الإسلامية قيمة فكرية وفنية عالية.

■ الهوامش:

* من كتاب قضايا أدبية «رؤية إسلامية» تأليف د. عبدالباسط بدر ص ٥١ - ٥٧، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١ - انظر القصيدة في ديوانه: منزل الأفتان ١٣٦ - ١٣٧، بيروت د. ت.

٢ - سورة البقرة، الآية: ٢١٦

٣ - انظر الأحاديث الواردة في هذا الشأن في صحيح البخاري، كتاب المرض، باب الكفارة، الأحاديث ٥٦٤٠ - ٥٦٤٥ وباب شدة المر



من مكتبة الأديب الإسلامي



أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية

تأليف: محمد عادل الهاشمي
عرض: صلاح أحمد الطنوبي

• كتاب «أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية»، تأليف محمد عادل الهاشمي، يقع في ٣١١ صفحة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، نشر مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء.

يُبين المؤلف في مقدمة الموضوع بواعث اختياره، ومن البواعث: ندرة الأبحاث فيه، وقلة الرواد في طريقه ولأسبما في سورية... واختياره هذا يلبي حاجة أدبية ملحّة في ميدان تُرخص هو «التيار الإسلامي» ذوالرصيـد الضخم في ميدان الفكر والأدب...

وهذا البحث يتناول أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية من واقعة ميسلون (١٩٢٠م) حتى واقعة الجلاء ١٩٤٦م، وهي فترة تُمثل كفاح سورية ضد المستعمر الفرنسي، ابتعث فيها أبناء البلاد روح الجهاد الإسلامي الموطنة في النفوس، وكان الأدب والشعر بخاصة، هادي الأرواح إليها، وملهب العزائم، والداعي إلى بذل الروح رخيصة في سبيل الله...

• والبحث في ستة فصول.. الفصل الأول «الاتجاه الإسلامي».. وقد أبرز المؤلف ملامح الاتجاه في العالم الإسلامي عامة والاتجاه الإسلامي في سورية خاصة.

حيث نشط علماء سورية ودعاتها في هذه المرحلة لنشر الإسلام وعرضه عرضاً واضحاً عن طريق المؤلفات والمحاضرات والأحاديث... وشرع السوريون منذ نقضوا عنهم غبار موقعة «ميسلون» في جهاد الاستعمار الفرنسي، يدفعهم إلى ذلك زاد الإيمان وروح الجهاد ضد الكفرة المستعمرين، دافعين إلى

المعركة بكل إمكاناتهم، مستلهمين عزّة العصور الإسلامية الزاهرة..

يقول خليل مردم يستثير في المسلمين غيرتهم الدينية لكتاب الله الذي مزقه الفرنسيون، ولحرمة المساجد التي أحرقوها، وقتلوا المصلين فيها.

في الشام مايدع الحليم محمداً جمحت به خيل الأناة جماحاً

هاضوا جناحيها وخلوا قلبها
غرضاً يسيل من السهام جراحاً

كم مسجد حرقوا وكم من راع
سالت دماؤهم به ضحاحاً

أضحى كتاب الله وهو ممزق
أرجو إليه أسنة وصفاحاً

ياغيرة الله اغضبي لكتابه
إن قومه لم يبدلوا الأرواحاً

وقد كان الاتجاه الإسلامي في سورية بلامحه الأدبية ومناهجه الثقافية ومواكبته لقضايا التحرر في البلاد، رائداً للكثير من الشعراء في سورية عبر هذه المرحلة..

استلهم الشعراء سيرة النبي ﷺ والتاريخ الإسلامي.. واستعرضوا بطولات عظماء الإسلام ومضات من الحضارة الإسلامية..

• والفصل الثاني: «استلهم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي»

فإذا كانت الأمة ذات تاريخ مجيد، كان من عوامل رقيها استلهم هذا التاريخ بما فيه من تجارب سياسية وحضارية في رد النهضة.



وقد عرض المؤلف في هذا الفصل نتائج الشعراء في هذه المستلهمات: النبي من خلال سيرته.. من وحي التاريخ الإسلامي.. الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي..

ومن الشعراء الذين برزوا في هذا المجال عمر أبو ريشة وأحمد مظهر العظيمة وأحمد الطرابلسي وعدنان خليل مردم.

• الفصل الثالث: «في موضوعات الفكر الإسلامي» وقد عقد لهذا الفصل موضوعين رئيسين - وذلك من خلال نتائج الشعراء السوريين وتجاربهم الوجدانية: العقيدة والشعر الإلهي.. والإسلام ورسالته وممن برزوا في هذا الاتجاه جميل سلطان.

• الفصل الرابع: «قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الإسلام» ومن هذه القضايا الجهاد ضد الفرنسيين والبناء وإصلاح المجتمع ومن شعراء هذا الاتجاه هشام دياب وخالد الخطيب.

الفصل الخامس: «الآفاق الجمالية والوجدانية»، وهذه الآفاق في الطبيعة والجمال.. و خليل مردم من الشعراء الكفئين بأفاق الفن والجمال قد أصفهاها نفسه وشعوره.

• الفصل السادس: «نظرات فنية».. نظرات في المضمون، ونظرات في الشكل، مصدر الأثر الإسلامي.

ولقد تأثر الشعراء السوريون بالقرآن الكريم معاني وألفاظاً وتركيب، وكان تأثرهم يتناسب مع طبيعة الموضوع والغرض، وعمق تجربة الشاعر، ومدى تفاعله مع الثقافة الإسلامية والقيم الإسلامية.

• والجديد في البحث: أنه أول بحث أدبي أرخ للاتجاه الإسلامي في سورية، وأوضح حاجة الأمة إلى الدين وأول بحث في سورية انتظم معظم التيار الإسلامي في الشعر.. وعني بدراسة مواقف الشعراء في سورية من الإسلام دعوة وطريق حياة.. وكشف عن نتائج شعري انتثر بين الكتب والدوريات..

الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام

للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة
عرض د. عمر عبدالرحمن الساريسي

يمكن قسمة هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام:
١ - توضيح ماهية الصدق الفني
٢ - عرض موقف الأدب في عصر
الرسول عليه السلام، وعصر الراشدين
من الناحية الفنية والأخلاقية
٣ - مناقشة بعض الأفكار المتعلقة بهذا
الموضوع

١ - معنى الصدق الفني:

يعرض المؤلف لمعنى الصدق الفني كما
ورد على ألسنة النقاد والمحدثين. فالأمدي
يقول: «الشاعر لا يطالب بأن يكون قوله
صادقاً» ص ٣١.

وابن رشيق يقول: «إن من فضائل
الشعر أن الكذب الذي اجتمع الناس على
قبحه حسن فيه» ص ٣١.

ويناقش عبدالقاهر الجرجاني القولين
المشهورين: خير الشعر أكذبه وأعذب
الشعر أصدق، ويفضل الثاني، ويتوسط
بين الأمدي وابن رشيق ويؤثر «الصدق
الأخلاقي غير محدد الأهداف» ص ٣٢.

ويلخص المؤلف آراء النقاد القدامى
فيقول: «الصدق الفني هو أصالة الكاتب
والشاعر في تعبيره ورجوعه فيه إلى ذات
نفسه، لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة»
(ص ١٩).

أما النقاد المحدثون فهم يجمعون على

الصدق الفني فحسب، ومن هؤلاء محمد
النويه وسيد قطب ومحمود تيمور
وتوفيق الحكيم.. وغيرهم.

٢ - في أدب عصر صدر الإسلام:

يربط المؤلف بين الصدق الفني في
الإبداع وبين الإسلام باعتباره عقيدة
ربانية لم تحجر النشاطات الفنية. «فعلاقة
الفن بالدين قديمة، في أماكن العبادة لدى
الأغريق وغيرهم من الأمم القديمة» (ص
٦٢). «لأن الأدب لم ينفصل عن العقيدة
منذ وجد الإنسان، وكل منهما وسيلة
نظيفة لغاية نبيلة، ومنبتهما متحد وهو
الفطرة البشرية» (ص ٤٩ - ٥٠).

وآية ذلك أن من مميزات الأدب في عصر
صدر الإسلام اهتمامه بالأمور الجادة
والحكمة والإرشاد وهجره للمعاني
الساقطة والأغراض السيئة كالهجاء
البيدي والغزل الفاحش، ثم بروز المعاني
الإسلامية بديلاً عنها.

وهذا التحول في الفكر إلى الغائية
الإسلامية بدا في الشعر والنثر والخطب
موجهاً لمنفعة الناس جميعاً في أنحاء
المجتمع الإسلامي المترامية، وهذا نابع من
موقف الإسلام من الإبداع بأنواعه
المختلفة.

«قالقرآن لم يحظر الشعر ولم يقف
دونه، ولكنه نزه نفسه عن أن يكون
شعراً، ورفع رسوله عن أن يكون شاعراً،
وفرق بين شعر وشعر وشعراء وشعراء»
ص ٧٥.

وهذا رسول الله ﷺ يقول للأَنْصار: ما
يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله



بسلحهم أن ينصروه بالسنتهم؟ فيقول
حسان أنا لها، وذكر فضله على الشعراء
(ص ٧٩).

ولقد كان الشعر في عصر الرسول عليه
السلام، يصور ما يحدث بين المسلمين
وأعدائهم في ميدان القتال، ويدافع عن
مبادئ الإسلام وتعاليمه، ويرثي القتلى
من المجاهدين الأبطال ويهجو المشركين
(ص ١١٨).

وكانت الخطب في عصر الراشدين،
كذلك، تحقق الصدق الفني والأخلاقي
بصورة دقيقة وفعالة (ص ١٢٣)

وسار الشعر في عصر الراشدين
كسيرته في عصر الرسول ملتزماً
بالصدق الأخلاقي مبتعداً عما نهى الله
تعالى عنه بعاطفة صادقة معبراً عما
يحدث في المجتمع دون غلو (ص ٨٣٨).

وبذلك يكون قد جمع بين الصدق الفني
والصدق الأخلاقي.

٣ - أفكار ذات علاقة بالموضوع:

وقد يلفت انتباه القارئ بعض الأفكار
الجانبية في الكتاب:

أولها: أنه على الرغم من اعتباره قوله
القاضي الجرجاني حول الدين والشعر
مثلاً على الصدق الفني فإنه يعتبرها في
النهاية مجافية لروح الأدب الإسلامي في
تأثير العقيدة في الشعر (ص ٧٦).

وأخراها: أنه يقارن بين الواقعية في
المذاهب الأدبية الغربية الحديثة والواقعية
في فهم الأدب الإسلامي، ويرى أن
الواقعية الإسلامية تجمع بين الصدق
الفني والأخلاقي أما الأولى فإنها تفصل
بينهما (ص ١٥٠).

والأخيرة: تتصل بأن النقد للأدب
الإسلامي يقلل المبالغة في الشعر ولا
يرفضها مالم تزيف الحقائق ولم تصور
غير الواقع ولم توهم الباطل، وهي بذلك
تخدم الصدق الفني (ص ١٦١).